اللغة العربية في ظل القرآن

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح
القاهرة

ورد علينا من حضرة الاستاذ الكبير الشيخ احمد عبد الرحيم السايح بحث قيم فى الموضوع اعلاه نقتبس منه ما يلى :

نزل القرآن الكريم باللغة العربية فجعلها اكثر رسوخا واقوى استقرارا ، وادق تصويرا ، لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول فى النفس .

وبجانب هذا أمدها بطاقة - جعلتها أوسع افقا، وابعد مدى ، واقدر على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت اللغة العربية فى ظل القرآن الكريم - أن تتسع لتحيط بابعد انطلاقات الفكر ، وترتفع حتى تسعد ارقى اختلاجات النفس .

فالقرآن الكريم - فضلا عن كونه ، قد احدث تغييرا جذريا فى التفكير العربى - شمل جميع مناحى الحياة .

فقد كان سجلا لكل ظواهر اللغة العربية - سجلا لم يطرأ عليه ادنى تغيير ، أو تبديل - رغم عوامل العصور والزمن - وما نعرف كتابا - ضمن الخلود للغة فى الدنيا- كما منح القرآن الخلود للغة العربية-

ولهذا السبب يضعه علماء اللغة فى مقدمة المصادر التى يتم بها توثيق العربية .

ومن الحقائق التى لا تقبل نقاشا - ان القرآن - هو افصح ما نطق بالعربية - وكانت فصاحته ، على نهج معجز ، لكل فصحاء العرب فى عصر تألقت ملكة البيان فيه على اكمل صورها - لدى قوم لم يعرفوا من صنائع الدنيا سوى صنعة البيان - ولم يبرعوا فى فنون الحياة براعتهم فى قول الشعر ، والنثر .

وقد حفظ القرآن الكريم عددا من الاستعمالات - التى لم تعد اليوم جارية فى الاسلوب العربى - مثل :

« ان هذان لساحران » .
« قال رب ارجعون » .
« والارض فرشناها » .
« فقد صغت قلوبكما » .

وكل هذه الاستعمالات وامثالها - كان يستشهد بها فى كتب اللغة والنحو ، على صحة ما يقابلها من الكلام العربى .

قال المستشرق الالمانى بروكلمان :

« بفضل القرآن بلغت العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه اي لغة اخرى من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا مؤمنون بان العربية هى وحدها : اللسان الذي أحل لهم ان يستعملوه فى صلاتهم . . . وبهذا ـ اكتسبت العربية ، منذ زمان طويل ، مكانة رفيعة ، فاقت جميع اللغات الاخرى التى تنطق بها شعوب اسلامية » .

وقال الدكتور جورج مارطون :

« وهب الله اللغة العربية ـ مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحى أحسن تدوين ـ بجميع دقائق معانيه ولفتاته ـ وان تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة وفيها متانة. وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثل الاعلى فى التعبير عن المقاصد ـ الا أن هذا كله لم يمنع من نشوء لهجات متعددة للتخاطب العادي وخصوصا حينما اصبح ابناء الامم المختلفة يتكلمون العربية ـ ولكن القرآن الكريم ـ جعل من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن اسمى مقتضيات الحياة ـ »

ولقد كان القرآن الكريم فى ذاته ثورة لغوية ـ نقلت اللغة من مرحلة اللهجات المختلفة ـ الى مرحلة المجتمع المتحضر المرتبط بلغة واحدة ومن مرحلة التعبير الشخصى ـ الى التعبير الموضوعى ـ

فاستطاعت العربية ـ ان تعبر فى آيات القرآن عن معانى التشريع ومعانى السياسة ، والاقتصاد ـ والحرب ، والتاريخ ، والفلك ـ وعلوم الاجتماع ، والنفس . . . وهى فنون لم تعهدها العربية من قبل . وهذه آية واحدة من سورة الانعام تمثل ناحية من النواحى الكثيرة للعلوم الكونية والتى عبرت عنها العربية فى القرآن الكريم . (الآية 99) .

ولقد اجمع الباحثون على أن القرآن الكريم ـ كان ولا يزال من أهم الحصون التى حمت اللغة العربية من الضياع ولا شك ان القرآن قد اوجد علوما كثيرة ـ منها ما يتعلق باللغة نفسها ـ كعلم النحو ، والصرف ، والبيان ، والمعانى ، والبديع ، ومنها ما يتعلق بالدين ـ كعلم التفسير ـ وعلم الفقه وعلم الاصول ـ وعلم الحديث ـ الى غير ذلك من العلوم الاسلامية الكثيرة ـ والتى نتجت عن القرآن الكريم ـ

وفى ظل رسالة القرآن الكريم جيء بثروة عظيمة من المفردات الجديدة ـ التى استعيرت من اللغات الاخرى ، والتى اشتقت من اصل اللغة ـ لتساير الحركة الاسلامية الكبيرة ـ والتى نحتت ، وصقلت، وربما ابتكرت ، لتعبر من المجال الحيوي الجديد ـ الذي دفع اليه القرآن ـ

ولا يفوتنا أن نذكر ـ ان الشعر ، والامثال ، والقصص قد ادت دورا بارزا فى حفظ اللغة وتقويمها... الا ان جميع الدراسات اللغوية اثبتت فى قوة ـ ان سبب نشأة العربية ونموها ، واتساعها ، وشمولها، وتبلورها ، وتطورها ، وتقبلها للتعريب ـ هو القرآن الكريم ـ